الفصل الأول

خريطة القوى والأحزاب الدينية (الأرثوذكسية) فى إسرائيل

١ ـ بين «الأرثوذكسية» والأصولية»

من ضمن التعبيرات والتعريفات الكثيرة عن «الأصولية»، يعرفها ريتشارد تابر Reichard Tapper ونانسى تابر Nancy Tapper فى كتابيهما «بفضل الله نحن علمانيون» Thank God, We're Secular باعتبارها «نظرة إلى العالم وكلام عن طبيعة الحقيقة... يشتمل على المجال الدينى ويتخطاه متسامياً... ولذلك فإن كل حركة أو قضية هى أصولية بالقوة» ويضيف «إيان لوستك»: «ولذلك فسواء استُعمل لفظ الأصولية فى وصف البروتستانت الإنجليين فى أمريكا أو المسلمين الخمينيين فى إيران، أو الجماعات الثورية من المسلمين السُنّة فى مصر، أو اليهود فى إسرائيل القائلين بالخلاص، أو السيخ فى مقاطعة البنجاب، أو أتباع ماوتسى تونج فى الصين، أو القائلين بالقومية الطورانية فى تركيا، فإن الأصولية فى هذه الأحوال كلها يمكن أن تُفهم باعتبارها نمطاً من العمل السياسى يتسم بعلاقة وثيقة جداً، ، باشرة، بين عقائد المرء الأساسية، وبين السلوك السياسى المصمم على قيق تغيير جذرى فى المجتمع»[١].

وفى إطار السعى إلى تحقيق عملية التغيير المستهدفة هذه، لا يقبل الأصوليون بالمساومة مع الواقع لتحقيق أهداف مباشرة يمليها عليهم بصورة قاطعة، كما يتخيلون، المصدر السامى للقيِّم المطلقة الذى يصدرون عنه فى

(١) إيان لوستيك، الأصولية اليهودية فى إسرائيل، ترجمة حسنى زينه، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩١، ص:١١.

سلوكهم، وهم لا يكتفون بالتبشير بهذه المفاهيم، أو الدعوة لها بقوة الحُجَّة، وإنما يسعون إلى فرضها فرضاً بقوة الفعل، وسطوة الفرض.

ويقدم «إيان لوستك» ـ على هذا ـ ثلاثة شروط لتمييز الحركات الأصولية عن غيرها من الحركات التى قد تتشابه معها، فالحركات من وجهة نظره، تعد أصولية بنسبة ما:

أولاً: تبنى نشاطها على مقتضيات لا تقبل المساومة والتسوية.

ثانياً: يكون سلوكها موجهاً، بفضل اتصال مباشر، بمصدر السلطة المتعالية.

ثالثاً: تنخرط بصورة عملية فى محاولات سياسية ترمى إلى إحداث التغيير الشامل(١).

ويؤدى إدراج الشرط الأخير ضمن الشروط الواجب توافرها لوصف حركة ما بكونها حركة أصولية، إلى استثناء حركات التقى والورع، كما يستثنى حركات الرهبنة (والصوفية فى بلادنا) من هذا التوصيف.

وتطبيق هذه «النظرية» على القوى الدينية فى إسرائيل يقود إلى نوع من الحيرة: فمن حيث الواقع، كَفَّتْ أغلب القوى الدينية فى إسرائيل، على الأقل منذ نحو نصف قرن، عن أن تصب جلَّ اهتماماتها على الطقوس والتقاليد والفرائض الدينية وحسب، وشاركت ـ مشاركة فعّالة ـ فى نشاطات بناء لدولة وصياغة سياستها العملية، وهى ـ بتأكيد أشد ـ انصرفت، منذ وقائع يونيو عام ١٩٦٧، إلى الانغماس المباشر فى صراع ضارٍ من أجل طرح وتدعيم رؤيتها، وفرض وجهات نظرها، فى شأن مستقبلٍ «إسرائيل الكبرى»، وواقع «الأراضى المحررة»، (المحتلة أصلاً)، ومصير مدينة القدس التاريخية.. إلخ، وهى قضايا سياسية فى المقام الأول، يُخرج الاهتمام بها القوى والأحزاب الدينية الإسرائيلية كافةً، على الأغلب، من واقع كونها قوى

(١) المصدر نفسه، ص: ١١.

وأحزاب دينية، إلى كونها قوى وأحزاب سياسية ذات طبيعة دينية أو هيئات دينية تعمل بالسياسة.

ومع هذا، ولأغراض التحليل والفهم، آثرنا فى صفحات هذه الدراسة أن نُفَرِّقَ تفريقاً نسبياً بين:

١ ـ القوى والأحزاب التى نشأت لأغراض دينية (حتى ولو كانت قد اتجهت فيما بعد إلى ممارسة النشاط السياسى / الدينى)، مثل الأحزاب الدينية التقليدية («الحزب القومى الدينى ـ المفدال»، «أجودات إسرائيل»... وانشقاقاتهما.. إلخ) وهى الأحزاب التى تكونت فى بدايات هذا القرن وأُطلق عليها اسم الأحزاب «الأرثوذكسية»، واتخذت مواقف متحفظة تجاه الحركة السياسية الصهيونية عند تكوينها، قبل أن تُعَدِّلَ من مواقفها، فى العقود الأخيرة، باتجاه التحالف معها.

٢ ـ القوى والأحزاب والحركات التى نشأت فى أغلبها بعد وقائع حرب ١٩٦٧، على أرضية سياسية بالأساس، حتى وإن تَزَيَّتْ بزى دينى، واستخدمت ـ فى دعايتها السياسية ـ قاموساً مشتقاً من اليوتوبيا والتوراه والكتب المقدسة، ويندرج تحت هذا التوصيف حركات وأحزاب يبدو الطابع السياسى فى نشاطها غالباً، وإن اعتَبَرَ منتسبوها أنفسهم، على حد التعبير الساخر لـ «روچيه جارودى»: «موظفون لدى المطلق».

٢ ـ من «الشريك المتواضع» إلى «العامل الحاسم»

على الرغم من أن الملامح الظاهرية تشير إلى اعتبار إسرائيل دولة علمانية، حديثة النشأة، عصرية التكوين، تنتمى، فى النهاية، إلى نموذج «دولة الحداثة» الغربية، إلا أن المراقبين عن كثب يُجمعون على أن نفوذ الاتجاهات الدينية قد تصاعد خلال العقود الثلاثة الأخيرة، بدءاً من حرب ١٩٦٧، حتى أصبح شديد التأثير فى مصير الدولة والمجتمع، وإلى الحد

الذى دفع الكاتب الإسرائيلى «يوسى ميلمان» إلى التصريح بأن الحضور القوى للدين (فى إسرائيل) بات يُعطى الانطباع بأنها «قد أصبحت بلداً مثل إيران، يُسيطر عليه ويديره المتطرفون»[1]... أما «شولاميت ألونى»، مؤسسة حركة «حقوق المواطن»[2]، (راتز) والوزيرة (اليسارية)، «المشاغبة»، فى حكومة حزب العمل، فتصور الأمر بشكل أكثر «دراماتيكية»: «سيدخل الدين فى مطابخكم، وسيتوزع المتدينون فى كل مكان عاجلاً فى شوارعكم وفى سواحل شواطئكم، وفى مدارسكم وعلى أسِّرة نومكم»[3].

وقد يختلف البعض حول المدى الذى وصل إليه نفوذ الاتجاهات الدينية والأصولية داخل المجتمع الإسرائيلى، لكن هناك اتفاقاً عاماً على أن هذا النفوذ يستمد أهميته من كونه يمثل «رُمَّانة الميزان» التى تحكم علاقات القوى السياسية المختلفة داخل إسرائيل بالسلطة وتوجيهها، كما يصفها البعض، فرغم كون هذه الاتجاهات قد حققت فى انتخابات الكنسيت الثالث عشر، التى جرت وقائعها يوم ٢٣ يونيو ١٩٩٢، ما يوازى ٢٣ ٪ فقط من أصوات الناخبين (١٤,٩ ٪ للحزب القومى الدينى (المفدال)، ٤,٩ ٪ للسفارديم حراس التوراه (حركة شاس)، و ٣,٢ ٪ لـ «يهودية التوراة»)، إلاّ أن هذه القيمة تبلغ حداً خطراً مؤثراً للغاية إذا أضيفت إلى مجملّ ما حققته باقى الاتجاهات اليمينية والمتطرفة، المتحالفة معها، من أصوات؛ حيث تمثل فى هذه الحالة حداً حاسماً يقترب من أن يكون مكافئاً لنصف عدد أصوات الناخبين الكلية، والذى رجَّح كفة حزب العمل وائتلاف (اليسار) عاملان أساسيان، أولهما: أصوات الأقلية العربية، وثانيهما: نجاحه فى عقد صفقة

(١) يوسى ميلمان، الإسرائيليون الجدد: مشهد تفصيلى لمجتمع متغير، ترجمة: مالك فاضل البديرى، الأهلية للنشر والتوزيع، بدون تاريخ (يُرجّح ١٩٩٤)، ص ١٣٤.

(٢) كلود موريس، الحوار ـ الإسرائيلى الفلسطينى: مؤيدون ومناهضون، مركز الفالوحا للدراسات والنشر، القاهرة، بدون تاريخ ص:٣.

(٣) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص: ١٥٥.

مع حركة «شاس» الدينية على قاعدة الإغراء بالمصالح والمكتسبات المادية والأدبية، حتى يمكن تشكيل الحكومة، وقد ظل وضعها الهش هذا رهناً برضاء ممثلى الاتجاه الدينى من أعضاء حركة «شاس»، الذين تلاعبوا به، وأتقنوا تقنيات ابتزازه، وهددوا وجوده فى مواضع عديدة بعد ذلك... إنهم على حد ما يقول «حاييم بيير»، تعاملوا مع إسرائيل «كأنها ماكينة مصرفية، فكلما احتاجوا مالاً - وحاجتهم للمال لا يمكن إشباعها - يذهبون إلى الماكينة، ويضغطون بعض الأزرار ويحصلون على مالهم، وإنهم بدلاً من أن يضعوا البطاقة البلاستيكية يضعون التخويف السياسى إن الأحزاب «الأرثوذوكسية» تستخدم لغة بسيطة: «أعطنا هذه.... لا نريد تلك... وإلا فلن نصوت لصالحك»[1].

لقد ساعدت طبيعة «العملية الانتخابية» وآلياتها، كما تجرى فى إسرائيل، على منح الأحزاب والحركات ذات الصبغة الدينية قدرة سياسية أكبر بكثير من حجمها الموضوعى، فنظام «الانتخاب النسبى» على أساس القائمة، كما هو مطبق فيها، يُعطى الأحزاب الصغيرة تمثيلاً فى الكنيست يفوق واقعها الطبيعى؛ بحيث يصبح بمقدورها - كعامل توازن - ترجيح أى من القطبين الرئيسين تذهب إليه السلطة: العمل أم الليكود.. ومن هنا تكتسب هذه الاتجاهات مصدر قوتها الرئيسى، وقد دفع هذا الأمر بعض المعلقين إلى وصف الحاخام «عوفاديا يوسف» حاخام «حركة شاس» الأعلى، باعتباره «الرئيس الفعلى لإسرائيل» وليس «حاييم هيرتزوج»، الرئيس السابق.

ومما يضاعف من دواعى خطورة هذا الأمر، استمرار انحياز يهود الطوائف الشرقية إلى معسكر اليمين والقوى الدينية المتشددة. فى مواجهة تحالف الكتل الأشكينازية، الممثلة فى التحالف العمالى «اليسارى»، ويرى البروفيسور «سامى سموحا» عالم الاجتماع اليهودى والأستاذ بجامعة «حيفا» أن هذا الاستقطاب يُزيد من «تآكل الهيمنة الأشكينازية (على مقاليد الأمور

(١) المصدر نفسه، ص ١٥١.

فى إسرائيل)، ويؤكد استمرار تدهور قوى (اليسار)»[١].

لقد أدى حرمان اليهود الشرقيين، وشعورهم بالنبذ فى المجتمع الإسرائيلى، وانعدام فرص المساواة وإمكانات التقدم، فى ظل الحكم طويل المدى لحزب العمل وحلفائه، إلى اتجاههم - بقوة - ناحية دعاة «الفكر السلفى» - اليمينى؛ حيث رأوا فيهم ملاذاً من سيطرة اليهود الغربيين (العلمانيين)، «الأشكيناز»، وانفرادهم بكل عناصر النفوذ والتأثير فى إسرائيل، وقد أدى ذلك فى السابق إلى وصول تكتل الليكود إلى السلطة... ولازال هذا الأمر قائماً، على أعتاب انتخابات ١٩٩٦، حيث ذكرت الصحف الإسرائيلية - على سبيل المثال - أن اليهود من أصل مغربى قد أدوا صلواتهم فى المعابد من أجل فوز «نتانياهو» فى الانتخابات القادمة[٢].

لقد حدث تحول انقلابى فى توجهات الأحزاب والقوى الدينية اليهودية فى إسرائيل على امتداد السنوات الخمسين المنصرمة (التى هى عمر الدولة ذاتها)؛ ففى حين أن هذه الأحزاب تجاهلت، فى أول سنوات الدولة، القضايا ذات الطابع السياسى، وركّزت مطالبها فى النواحى ذات الطبيعة الدينية... الأمر الذى شجع حزب «الماباى» (والتكتل العمالى - «اليسارى») على مد يد التعاون إليها، وحفزه على تلبية مطالبها، فى مقابل إطلاق يده فى شئون الدولة السياسية، تقدمت هذه الأحزاب على ما يرى بعض المراقبين - خطوة بعد أخرى - وقفزت من مجرد «شريك متواضع» فى الحكومة، إلى «عنصر مهم» فى تشكيلها، ثم إلى «العامل الحاسم» فى تقرير إلى من تذهب السلطة؟، وإلى أين تتجه؟ وما طبيعة توجهاتها الأساسية؟ وتطورات مطالبها

(١) منذر طرابلس، أحزاب الجيتو تحكم إسرائيل، مجلة كل العرب، باريس، ١٩٩٠/٤/١٦

(٢) جريدة معاريف الإسرائيلية، ١٩٩٦/٥/٥.

وقد أكدت نتائج انتخابات الكنيست الثالث عشر (مايو ١٩٩٦) هذه التوجهات حيث فاز بنيامين نتانياهو، زعيم تكتل الليكود اليمينى، برئاسة الوزارة الإسرائيلية، مدعوماً من القوى والاتجاهات الدينية والأصولية.

من مجرد المطالبة بزيادة دعم المدارس الدينية «اليشيفا» وتوسيع نطاق إعفاء الطلاب المتدينين من الخدمة العسكرية، أو التدقيق فى الالتزام بقدسية يوم السبت، أو التشدد فى تحديد مسألة «من هو اليهودى»؟ إلى قضايا ذات طابع استراتيچى تمس صُلب التوجهات الأساسية للدولة: طابعها: (مدنى أم دينى؟)، الأرض المحتلة وحدود التفاوض بشأنها، الصلح مع العرب وأبعاده، السلطة الفلسطينية ومواقعها، مصير مدينة القدس المستقبلى، المستوطنات، إلخ، وغيرها من القضايا ذات الطبيعة السياسية الاستراتيچية الحسّاسة؛ وقد صاحب هذا التحول الذى مَثَّلَ توجهاً جديداً لـ «تسييس» الحركة الدينية والأصولية، بروز ملامح جديدة للاختلاف بين الحركة الدينية المعاصرة فى إسرائيل، وبين تلك التى كانت موجودة فى العقود الثلاثة الأولى، بعد إنشاء الدولة، رصدها الخبراء فى عدة ملامح أساسية، أهمها:

١ ـ غلبة العناصر ذات الاتجاهات المتشددة والمتطرفة، بالمقارنة مع (المعتدلين) الذين كانوا يمثلون القوى الغالبة فى هذا المعسكر، سابقاً.

٢ ـ ميل هذا المعسكر باتجاه التطرف القومى، وأصبح المتطرفون القوميون، أو ممثلو الصهيونية الدينية المتطرفة، هم الأغلبية فيه، بينما كان المعسكر فى الماضى يعادى ـ فى مجمله ـ الصهيونية، ويقضى بتكفيرها من منطلقات توراتية.

٣ ـ نبذ هذا المعسكر لموقف الاستكانة والضعف السابق، بعد أن تدفقت عناصر اليهود الشرقيين إلى صفوفه، وشعوره بقوته، وممارسته لها، ومطالبته ـ اعتمادا عليها ـ بمشاركة أكبر فى اتخاذ القرارات المصيرية بالدولة.

٤ ـ اشتداد نفوذ الحاخامات، داخل هذا المعسكر، وتدنّى سلطة الساسة المتدينين، الذين كانوا يوجهون أموره فى الماضى.

٥ ـ ازدياد نفوذ الحاخامات الموجودين بالخارج، وفى أمريكا أساساً، وسيطرتهم على توجهات هذا المعسكر وقيادة صفوفه(١).

وقد دفع هذا الوضع بمفكر وسياسى إسرائيلى مرموق، هو «أبا إيبان» وزير الخارجية الأسبق، إلى القول: «إن اليهودية النابعة من تعاليم الأنبياء ومن الصهيونية الكلاسيكية، اللتين عَبَّرَ عنهما (إعلان الاستقلال)، يتحداها الآن الخرافة، والتعصب، والسياسة الأحادية الجانب، والخوف من الآخرين وكرههم، والنزعة المغامرة التى تبتعد بنا كثيراً عن العالم الذى ارتفع فيه علم إسرائيل لأول مرة...

إن هذه الأيام تُستدرج فيها أصوات الناخبين ببركات ولعنات بدائية من مُخَلَّفات العصور الوسطى، ويمارس فيها يهود غريبو الأطوار، من وراء البحار سلطة مبتذلة على حملة لواء سيادة إسرائيل»(٢).

٣ ـ القوى «الأرثوذوكسية» الدينية الرئيسية فى إسرائيل

مرت الأحزاب والحركات والقوى الدينية (الأرثوذوكسية) فى إسرائيل بموجات من المد والجزر، التقدم والتراجع، التوحد والانقسام... منذ بدأت مسارها المنظم، أوائل هذا القرن، وسط التجمعات اليهودية فى أوروبا الشرقية والغربية، وقبل أن تنقل جانباً أساسياً من أنشطتها إلى فلسطين العربية، التى تم احتلالها بعد ذلك، لكى تنشأ على أرضها الدولة الإسرائيلية الراهنة.

ولا يتسع مجال الدراسة هنا للخوض بتفصيل كبير فى مولد أو تاريخ التكوينات الدينية اليهودية وأحزابها التى تمارس النشاط الدينى ـ السياسى

(١) أحمد خليفة جولة، استكشافية فى كهوف الأحزاب الدينية: تشديد القبضة على المجتمع ودعم التطرف السياسى، مجلة اليوم السابع، باريس ١٩٨٨/١١/٢٨.

* الإشارة إلى حاخام طائفة اليهود اللوبافتش المقيم بنيويورك.

(٢) المصدر نفسه.

ذى الصبغة الدينية، داخل إسرائيل الآن... وسنكتفى بـ «نظرة طائر» تُحَلِّقُ فوقها، لكى ترصد بعض أحزابها الهامة، والنقاط الفاصلة فى مسارات هذه الأحزاب على أن نتريث ـ فى فصل تالٍ ـ عند واحدة من أهم الجماعات الدينية فى إسرائيل وأقواها وأنشطها... «جماعة اليهود اللوبافتش»... التى سنعرض لأهم ملامحها، وأبرز قياداتها، ومواقفها، بتفصيل أكبر؛ لما لها من أهمية ونفوذ ملحوظين، فى الواقع السياسى الدينى بالدولة الصهيونية.

١ ـ الحزب الدينى القومى، «المفدال» (مفلاجا داتيت لتوميت)

تعود جذور «المفدال» إلى أوائل هذا القرن حين تأسست حركة المتدينين اليهودية الصهيونية (همزراحى)، «الشرقى»، فى أوروبا، وأنشأت فرعاً لها فى فلسطين عام ١٩١٢.

أما الجناح العمالى لهذه الحركة «هبوعيل همزراحى»، «العامل الشرقى»، فقد تأسس عام ١٩٢٢ تحت شعار «التوراة والعمل»، فى محاولة لاستقطاب الفئات العمالية اليهودية المتدينة، وبصفة خاصة فإن حزب «همزراحى» احتفظ بنفوذ واضح فى أوساط البرجوازية الصغيرة اليهودية فى شرق أوروبا[١].

فى عام ١٩٥٦ اتحد حزبا «همزراحى» و«هبوعيل همزراحى» وكوَّنا «الحزب الوطنى الدينى»، «المفدال»، وقد شارك «المفدال» منذ انتخابات عام ١٩٥٩ ـ كشريك أساسى ـ فى الائتلافات الحكومية التى قادها حزب «الماباى»، ومن بعده «المعراخ»، حتى ١٩٧٧، ثم انحاز إلى تكتل الليكود فى انتخابات ذلك العام، وكان أحد الأسباب الرئيسية لفوزه بالسلطة آنذاك.

يُعَدُّ حزب «المفدال» جزءاً عضوياً من الحركة الصهيونية، قد شارك فى إنشاء دولة إسرائيل، ويمثل التيار القومى ـ الدينى لليهود ذى الأصول الغربية، (الأشكيناز)، ويتعاون مع العلمانيين، وتتميز حركته بالمرونة النسبية،

(١) عازى السعدى، الأحزاب والحكم فى إسرائيل عمان، الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٩، ص ٣١٥.

ويؤمن بالتحول التدريجى لإسرائيل باتجاه تطبيق الشريعة (الهالاحاه)، وعناصره تخدم فى الجيش الإسرائيلى، ويشاركون فى الحياة العامة ويحتفلون بالمناسبات (القومية) كـ (عيد الاستقلال) وغيرها. وفى انتخابات عام ١٩٩٢ حصل على ستة مقاعد فقط؛ الأمر الذى يعكس تدنياً واضحاً فى مراكز تأثير هذا الحزب، من جراء الانشقاقات المتعددة فى صفوفه، واتجاه جموع الشباب إلى التنظيمات الاكثر تطرفاً وتشدداً.

يضم دستور الحزب مبادئه الأساسية التى ترتكز على أن الحزب «يصبو إلى تجديد حياة (شعب إسرائيل) فى (أرض إسرائيل) بموجب «توراة إسرائيل»، ويؤكد على أن واجب الفرد والمجموع هو «دعم كيان هذا (الشعب) فى (أرضه)». إلى جانب ذلك يؤكد «المفدال» على أن «الحاخامية الكبرى هى السلطة الدينية العليا فى الدولة»[1].

ويعمل «المفدال» على بناء دولة إسرائيل ودعمها وتطويرها دينياً وثقافياً وأمنياً واقتصادياً واجتماعياً، ويُنَمّى حب إسرائيل» والإخلاص لها بين اليهود، ويسعى إلى إقامة مجتمع مبنى على الأسس الروحية والاجتماعية والدينية الواردة فى التوراة.

وانطلاقاً مما يسميه حزب «المفدال»: «الوعد الإلهى»، فإن (شعب الله): «سيرجع إلى أرض آبائه وأجداده، ويقيم فيها «مملكة التوراة»، فى الحدود التى وعد بها الله شعب إسرائيل، وهى من الفرات إلى النيل». ويرى المفدال، أن لتطورات السياسية والأمنية، منذ قيام إسرائيل، كانت بداية لتحقيق الغاية الإلهية، وخطوة على طريق الخلاص الشامل لشعب إسرائيل، ويعتبر أن توسيع حدود إسرائيل، بعد عدوان يونيو ١٩٦٧، «خطوة أخرى على طريق الخلاص».

ولا يؤمن الحزب إلاّ بدولة واحدة تمثل «الحق التاريخى» لليهود فى (أرض الميعاد) كلها، تقوم بين النهر والبحر، وعاصمتها القدس الموحّدة، ولا

(١) المصدر نفسه ص ٣١٨ ـ ٣١٩.

يقبل ـ بأية حال ـ الموافقة على أى برنامج قد ينجم عنه (التنازل) عن أى جزء من «أرض إسرائيل» التاريخية. ولذا فهو يُحَبِّذُ الاستيطان «فى جميع أنحاء (أرض إسرائيل)، بما فى ذلك الضفة الغربية (يهودا والسامرة) وقطاع غزة وهضبة الجولان» التى يطلق عليها «أرض إسرائيل المحررة» كما يعارض الحزب إنشاء دولة فلسطينية، كما يسعى ـ على الصعيد الداخلى ـ إلى صبغ الحياة بصبغة دينية (فى التعليم والثقافة والإعلام)، وإلى مزيد من التوجهات الحرَّة فى الإدارة الاقتصادية للدولة[1].

٢ ـ أجودات إسرائيل «رابطة إسرائيل»

حزب دينى مناهض للصهيونية من منطلقات توراتية. تأسس عام ١٩١٢ رداً على تعريف المؤتمر الصهيونى العالمى (عام ١٩١١ ـ بمدينة بازل) للحركة اليهودية بالمعنى المدنى العلمانى، وعلى قراره بامتداد صلاحيات «الهستروت» لكى تشمل شئون التربية فى «أرض إسرائيل»، وكانشقاق على حزب «المزراحى» الذى هادن «الصهيونية السياسية» وتواطأ مع برامجها.

وفى عام ١٩٢٢ تأسس فى بولندا حزب «بوعلى أجودات يسرائيل»، (أى عمال رابطة إسرائيل) للدفاع عن حقوق العمال اليهود. وتأسس فرعه الفلسطينى عام ١٩٣٣.

مع بداية الثلاثينات وهجرة جماعات كبيرة من يهود بولندا وألمانيا المتطرفين دينياً، غيرت «أجودات إسرائيل» من موقفها فى مواجهة الحركة الصهيونية، وتبنت سياسة جديدة للتعاون مع مؤسساتها: حيث بدأت ترى فى بناء «وطن قومى» لليهود: «ملجأً مؤقتاً يقى اليهود شر كوارث المهجر»[2]. وقد أدى هذا التوجه الجديد إلى انشقاق مجموعة أطلقت على نفسها اسم «ناطورى كارتا» (أو حرّاس المدينة)*، التى لازالت حتى الآن لا تعترف

(١) لمزيد من التفاصيل عن برنامج الحزب أنظر: غازى السعدى، مصدر سبق ذكره ص ٣١٨ ـ ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣١٦.

* انظر فصل يهود ضد الصهيونية فى موقع آخر من الكتاب.

بإسرائيل، وترى فى إنشائها كارثة حلت بالشعب اليهودى، وهى تعترف بالدولة الفلسطينية وتقيم علاقات سياسية مع السلطة الوطنية الفلسطينية، ويمثلها وزير فيها.

يشرف على شئون «أجودات إسرائيل»، «مجلس كبار حكماء التوراة»، (موعيتست جدولى هتوراه)، الذى يمثل المرجعية الرئيسية للحركة، ويتكون من خمسة عشر عضواً من بينهم سبعة من «الآدمورائيم» [لقب يُطلق على كبار رجال الدين اليهودى من «الحسيديم»، (المتشددين)]، وثمانية من رؤساء «اليشيفوت»، المدارس الدينية، التابعة للحزب، ولا ينعقد هذا المجلس إلا للبت فى القرارات المصيرية للحزب، «مثل مسألة الانضمام إلى الائتلافات الحكومية، والقضايا المتعلقة بالدين والدولة»[1].

شارك حزب «أجودات إسرائيل» فى الحكومات الثلاث الأولى التى أعقبت إعلان الدولة (٤٩ ـ ١٩٥٣)، وظل منذ عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٧٧ فى المعارضة لرفض «مجلس علماء التوراة» المشاركة فى الحكم، نظراً لعدم استجابة التحالفات العمالية لشروطه، وأولها المتعلقة بشئون التعليم، وشارك عام ١٩٧٧ فى الائتلاف الحكومى مع الليكود دون أن يُمثَّل فى الحكومة، وكذلك عام ١٩٩٠، وقد استغل هذا الوضع فى الحصول على مكاسب مادية ومالية ضخمة، وكذلك لإعفاء طلاب المدارس الدينية التابعة له من أداء الخدمة العسكرية.

لا تعترف حركة «أجودات إسرائيل»، فى الواقع بدولة إسرائيل، وهى تنظر إلى الكنيست نظرتها إلى البرلمان البولندى الذى كان أعضاؤها ممثلين فيه عن مدينة وارسو، ولا يحتفل الحزب بعيد (استقلال) إسرائيل ولا يُنشدون نشيدها الوطنى ولا يرفعون علمها، وهم يعارضون الجماعات اليهودية المتطرفة (مثل جوش إيمونيم)، وتناقض مواقفهم المواقف المعلنة

(١) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.

للحزب الدينى القومى، (المفدال)، وصوتت حركة «أجودات إسرائيل» إلى جانب اتفاقات «كامب ديفيد»، ووافقت على حكم الفلسطينيين ذاتياً.

٣ ـ اتحاد حراس التوراة السفارديم «شاس»

تشكّلت حركة «شاس» عام ١٩٨٣ لكى تضم فى صفوفها قطاعات من المتدينين الشرقيين الذى تخرجوا فى المدارس الأشكينازية (التوراتية)، وأتباع الحاخام «عوفاديا يوسف»، وكذلك جموع العائدين إلى الدين (أو من يطلق عليهم اسم «التائبين»)، إضافة إلى جمهور واسع من أبناء الطوائف الشرقية التقليديين ونفر من أتباع حزب الليكود السابقين[١]؛ أى أن مجال نفوذ الحركة يمتد أساساً فى أوساط اليهود السفارديم.

حصلت حركة «شاس» فى انتخابات عام ١٩٨٨، على ستة مقاعد وفى انتخابات ١٩٩٢ على أربع مقاعد، وخطها السياسى يميل إلى قبول الحلول السياسية للصراع فى المنطقة، ويرى زعيم الحركة الروحى الحاخام «عوفاديا يوسف» أنه «من الممكن لإسرائيل التخلى عن الأراضى المحتلة فى مقابل السلام» ذلك لأن «الأرض ليست أهم من حياة الإنسان»[٢].

تعترف حركة «شاس» بوجود «قضية فلسطينية» وتقبل بتقديم «تنازلات إقليمية» فى سبيل حلها[٣] غير أنها شديدة التطرف فى الناحية الدينية والتشريعات اللاهوتية، وكذلك تواجه بحدة وتعصب أى افتئات على حرمة يوم السبت أو غيرها من مرتكزات العقيدة اليهودية حسبما تعتنقها الحركة.

يتمتع زعماء «شاس» بجماهيرية واسعة بين أتباعهم، وتستخدم الحركة أساليب إعلانية تليفزيونية (على النمط الأمريكى) لنشر أفكارها، وهو ما دفع «يوسى ميلمان» إلى التصريح بأن «حزب شاس هو الحزب التبشيرى

(١) المصدر نفسه، ص: ١٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٠٨.

(٣) غازى السعدى، مصدر سبق ذكره، ص:٣٢٧.

الأكبر فى البلاد، الذى جعل من شعائر (التوبة) صناعة جماهيرية... حيث يوظف (صائدو الأرواح) من حزب «شاس» كل أدوات وتقنيات التسويق الحديثة من الدعايات والإعلانات وأجهزة التسجيل المرئية والسمعية»[١]. وهو يشن حملات مسعورة ضد مظاهر الحياة المدنية، وقد وُجِّهت للعديد من كوادره تُهم إساءة استخدام المال العام والثراء غير المشْروع ومع هذا فقد شق حزب «شاس» طريقه ليكون منظمة سياسية لها جذورها داخل الدولة، حيث ضم إلى صفوفه عدداً من أعضاء الكنيست ومسئولى الدولة، وأسس شبكة مستقلة للتعليم، عززت من نفوذه، ومنحته وضعية مميزة داخل المجتمع.

٤ ـ حزب «ديجل هتوراة» (علم التوراة)

يصفه المختصون باعتباره المقابل الأشكينازى لحركة «شاس» السفاردية «بأطروحاته وأهدافه فى كل القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية»[٢] أسسه الحاخام «مناحم أليعازر شاخ» عشية انتخابات الكنيست الثانى عشر ١٩٨٨، وقد لعب هذا الحزب دوراً مؤثراً فى تغيير المعادلة السياسية داخل إسرائيل، لصالح تكتل «الليكود»، وتحكم فى مسار العملية الانتخابية إلى الحد الذى أهاج العديدين ضده، فهتف «هيرس جوتمان» فى «الجيروزاليم ريبورتر ـ Jerusalem Reporter» يُحَرِّضُ ضد «صانع الملوك» قائلاً: «إن أكثر ما يبعث على الاكتئاب بشأن الحكومة المقبلة هو أن «الحاخام شاخ» هو الذى سيقرر، على الأرجح، من سيكون رئيس الحكومة الجديدة... لقد حمل «شاخ» مسدساً فوق رؤوسنا لمدة طويلة؛ وإن لم نتوخ الحذر فإن إصبعه قد تضغط على الزناد، ومن الأفضل أن نجرده من السلاح الآن»[٣].

وقد أدى استفحال نفوذ «الحاخام شاخ»، الذى أهاج واستفز العديد من

(١) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص: ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص:١٩٢.

(3) Jerusalem Reporter, Israael, June, 1992.

القوى السياسية، وعلى رأسها «حزب العمل» ضده، من جهة، وتعاليه على التجمعات الشرقية من اليهود، الذين اعتبرهم «غير ناضجين بعد لتسلم القيادة السياسية أو الدينية فى الدولة»[١]، من جهة أخرى، إلى محاصرة سطوة هذا الزعيم، وتجمع الخصوم فى مواجهته، وفى انتخابات عام ١٩٩٢ حاول إملاء شروطه على الائتلاف الحكومى الجديد، بعد أن فشل فى «تتويج» زعيم اليمين رئيساً للحكومة، كما فشل فى إبعاد حركة «ميرتس» (اليسارية) عن الائتلاف الحكومى،[٢] أو حجب حقيبة وزارة التعليم والثقافة عن «شولاميت ألونى» الوزيرة (العلمانية) الصدامية،[٣] جاء فشله الأكبر فى منع حركة «شاس»، وقد كان أحد مؤسسيها، من دخول ذلك الائتلاف على الرغم من حملة التشهير الإعلامى الصاخبة التى شنَّها على الحركة[٤]، فيما اعتبر «موتاً للوصاية الأشكينازية» وتتويجاً للحاخام «عوفاديا يوسف» كـ «كبير لقادة الجمهور الدينى فى البلاد وفى العالم»[٥].

بعد انتخابات عام ١٩٨٨، وافق رئيس الحزب، الحاخام «أفراهام رافيتش» على الانسحاب من الأراضى المحتلة مع إنشاء دولة فلسطين منزوعة السلاح، كما «أعرب عن استعداده لتأدية التحية لعلم هذه الدولة»[٦].

(١) جريدة «معاريف» الإسرائيلية، ١٩٩٢/٦/٦٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) جريدة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية، ١٩٩٢/٧/٩.

(٤) عطا القمرى، الانقلاب الدينى يكمل حلقة الانقلاب السياسى، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد (١١)، خريف ١٩٩٢، ص:٢٤٦.

(٥) جريدة «هآرتس» الإسرائيلية، ١٩٩٢/٦/٢٦.

(٦) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص:١٧٥.

«إن الصهيونية السياسية هى مجرد صيغة مُجددة لعقيدة انتظار المُخَلص، جرى نقلها من العقول المتحمسة للقباليين الدينيين (Kabbalists) إلى عقول الزعماء السياسيين للجماعات اليهودية، (حيث) تُغشَى فيها النشوة المرتبطة بفكرة البعث العظيمة، الخطوط الفاصلة بين الواقع والخيال».

المؤرخ اليهودى الروسى

«سيمون دوبنوف Dubnov»

فى «رسائل حول اليهودية القديمة والجديدة»

(١٨٩٧ ـ ١٩٠٧)

obeikan.com